



الحمد لله وبعد.. فإن العزة التي أتحدث عنها من عَزَّ بفتح العين المهملة، من القوة والرفة والامتناع، وفي الحديث أنه – صلى الله عليه وسلم – قال ل عائشة: هل تدرين لم كان قومك رفعوا باب الكعبة، قالت: لا. قال: تعززاً أن لا يدخلها إلا من أرادوا.

والعزة التي لا نزل معها لله – عز وجل – (جميعاً) فمن طلب العزة من الله وصدقه في طلبها في افتقار وتذلل وسكون وحضور وجدها عنده – عز وجل – ، غير منوعة ولا محجوبة عنه.

ومن طلبها من غير الله وكله الله إلى من طلبها عنده، فقال – عز وجل – : {الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلَيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيْبَتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا}.

فمن أراد العزة فعليه أن يطلبها ممن له العزة جميعاً، وقبل ذلك عليه معرفة صاحبها ومعطيها وواهبها وما هي شروط إعطائهما، وقد جاءت الآيات تبين هذا: {أَيْبَتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا}.

{وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}.

{مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلَلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا}.

– فالمسلم يستمد العزة من قوة ربه ودينه والحق الذي يحمله. وكل صاحب دين يعبد إلهه ليستمد منه العزة كما قال الله: (واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزاء) أي ليكونوا لهم أعواناً أو ليكونوا لهم شفاعة في الآخرة، وهؤلاء أخبر الله أن عزتهم زائفة ثم يوم القيمة يكفر بعضهم ببعض ويعلن بعضهم ببعض: (كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضداً)، وقال: (إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيمة يكفر بعضكم ببعض ويعلن بعضكم ببعض وأماواكم النار وما لكم من ناصرين)، وقال عن بعض الظالمين: (احسروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدونَ * مِنْ دُونِ اللَّهِ فَاهدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ * وَقُفُوْهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ * مَا لَكُمْ لَا تَنَاصِرُونَ * بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسِلُونَ). مستسلمون مع أنهم كانوا بالأمس يعتزون بالهتم سواءً أكانت أصناماً تعبد، أو آراء وأهواء تؤله سموها حريات وقوانين ونحو ذلك.

وأخبر عن شأن آخر أثيم فقال: (نَقِ إِنْكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ).

– أما المسلم فإنه يدين لله ومعه الله الذي (يعز من يشاء وينزل من يشاء بيده الخير وهو على كل شيء قدير)، وكتابه القرآن الذي قال الله فيه: (وَإِنَّهُ لذِكْرُكَ وَلِقَوْمِكَ وَسُوفَ تَسْأَلُونَ) قال أهل التفسير ذكر لك: شرف لك، وأما نبيه محمد – عليه

الصلوة والسلام – سيد ولد آدم وخير من تنشق عنه الأرض:

وَمَمَا زَادَنِي شَرْفًا وَتَيْهًا * * * وَكَدَتْ بِأَخْمَصِي أَطْأَلِ الثَّرِيَا

دَخْلِي تَحْتَ قَوْلِكَ يَا عَبْدِي * * * وَأَنْ صَيْرَتْ أَحْمَدَ لِي نَبِيَا

– ولعلو المسلم بيده عن غيره ناسب أن يكون عزيزاً على الكافر خافضاً جناحه ومتواضعاً لمن كان مثله ولهذا قال الله تعالى – (يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزه على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم).

– قد يغيب على الكافر هذا المفهوم فينظر إلى بعض الأسباب المادية ولكن لا ينبغي لأهل الإيمان أن يغيب عنهم مفهوم العزة الحقيقى بل عليهم أن يبينوا للناس معنى العزة الحقيقى وأين يجدونها، ولهذا لما تقرر مفهوم خاطئ عند قوم شعيب وهو أن العزة إنما تكون بما لدى الشخص أو قومه من قوة وأسباب دنيوية فقط، صاح لهم نبيهم – عليه السلام – هذا المفهوم وأرشدهم إلى مصدر العزة الحقيقى، قال الملائكة كما أخبر الله – عز وجل – عنهم: (فَأَلْوَا يَا شُعَيْبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مَمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمَنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ)، فهم يرون أنه في نفسه غير عزيز، ويرون أن الذي يعززه ويعنده هم قومه، فقال لهم: (يَا قَوْمَ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَالْأَخْذُتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظَهِيرًا إِنَّ رَبَّيَ بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ * وَيَا قَوْمَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانِتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ).

– ولهذا لما قال كبير المنافقين (لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) قال الله معقلاً: (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمنون) فالعزة لله وبالله (سبحان رب العزة عما يصفون). فمن أراد العزة فليلتمسها من ربها، قال – تعالى – (من كان يريد العزة فللها العزة جمياً)، وقد ذم الله من داهن أهل الكفر وملاهم أو والاهم من أجل تحصيل العزة فقال: (الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أبى يتغدون عندهم العزة فإن العزة لله جمياً)

رابطة علماء المسلمين

المصادر: